## المحاضرة الحادية عشرة:

### 3-2 أشهر نحاة المدرسة البغدادية:

لقد سبق البيان إلى أنّ البداية الفعلية للنشاط النحوي بدأ مع المبرد وثعلب اللذين قَدِمَا إلى بغداد من البصرة والكوفة، ونشأ إذاك جيل من النحاة أخذ عن هذين العالمين ونشأت بينهم صراعات فكرية أفضت إلى بروز نزعتين نحويتين متباينتين واتجاهين مختلفين، اتجاه ينزع إلى المذهب البصري واتجاه ثان ينزع إلى المذهب الكوفي وربما تكوّن اتجاه ثالث يأخذ عن المذهبين أو ينفرد بآراء خاصّة،لذا يمكن أن نلمح ثلاثة اتجاهات مختلفة:

**الاتجاه الأول:** ويضمّ نحاةً بقوا أوفياء إلى المذهب البصري سواءٌ أكانوا بصريين أم غير ذلك، وسواء أأخذوا عن بصريين أم كوفيين.

**الاتجاه الثاني:** وهم من ظلوا كوفيين سواء أأخذوا عن أشياخ المدرستين أم عن الكوفيين فقط.

**الاتجاه الثالث:** وهم من خلطوا المذهبين ممّن أخذوا عن أشياخ المدرستين أم ممّن اقتصروا في الأخذ عن أشياخ إحدى المدرستين.

**من ظل بصرياً:**

**1-الزجاج(ت311هـ)**:هو أبو اسحاق إبراهيم بن السري كان يعمل بخرط الزجاج لزم أبا العباس ثعلباً مدّة، أخذ عنه النحو واللغة والأدب، ولمّا ورد المبرد بغداد اتّصل به وعزم على ملازمته مقابل ثلاثين درهماً في الشهر الواحد بعد أن انقطع عن ثعلب حتّى برع في النحو البصري، و تزعم رئاسة النحو البصري بعد المبرد فأصبح مرجعاً لطلاب العلم في النحو البصري[1]،له اعتراضات على ثعلب وبخاصّة على كتابه الفصيح، وكان شديد التعصب على أنباه الكوفيين كأبي موسى الحامض مثلاً ،الأمر الذي أدى ببعضهم إلى الردّ عليه ،صنّف كتباً في اللغة والنحو مثل المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وكتاب الرد على ثعلب في الفصيح، وشرح أبيات سيبويه والنوادر[2].

---

[1] -ينظر الدرس النحوي في بغداد،ص129 وما بعدها

[2] -ينظر المدارس النحوية الحديثي،ص219

**ابن السراج(ت316هـ)**:هو أبو بكر محمد بن السري السراج من تلاميذ المبرد، قرأ عليه كتاب سيبويه وانتهت إليه الرئاسة في النحو بعد المبرد والزجاج، وقد كان أديباً وشاعراً، له من الكتب كتاب الأصول في النحو، ضمنه مباحث كتاب سيبويه وأعاد ترتيبها وتبويبها تبويباً حسناً، وكتاب الجمل، وكتاب شرح كتاب سيبويه، والاشتقاق[3].

**الزجاجي(ت337هـ)**:هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق من نهاوند، لزم الزجاج حتّى نُسب إليه، أخذ عنه النحو كما أخذ عن ابن السراج والأخفش، انتقل إلى الشام وجلس في حلقات العلم يعلم الناس ،وصنّف تصانيفه هناك ثم انتقل إلى طبرية وتوفي هناك، له كتب عظيمة مثل أمالي الزجاجي،والإيضاح في علل النحو، وكتاب الجمل، وشرح خطبة أدب الكاتب لابن قتيبة[4].

**ابن درستويه(ت347هـ)**: «هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي نشأ بفسا (من بلاد فارس) »[5]،سكن بغداد وأخذ العلم عن ابن قتيبة والمبرد وثعلب، ولكنّه تعصّب لمذهب البصريين، له تصانيف عدّة منها الإرشاد وأسرار النحو، وشرح الفصيح، وكتاب المذكر والمؤنث، والمقصور والممدود[6].

**أبو علي الفارسي(ت377هـ)**:هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي من أب فارسي وأم عربية، ولد بفسا بفارس سنة288هـ، انتقل إلى بغداد وأخذ النحو عن الزجاج ومبرمان وابن السراج وابن الخياط، ذاع صيته في النحو واتّصل بسيف الدولة الحمداني في حلب، ونال الحظوى منه، وكانت بينه وبين ابن خالوية مشاحنات علمية، كما كانت بينه وبين السيرافي، ألّف كتباً عدّة، وكان طابع التأليف عنده أنّه ينسب إملاءاته في كلّ بلدة إليها، لذلك فقد سميت بعض كتبه بتلك الأقطار، منها المسائل العسكرية نسبة إلى عسكر مكرم، والمسائل القصرية نسبة إلى قصر بن هبيرة، والمسائل الحلبية نسبة إلى حلب وهكذا، ومن مؤلفاته أيضاً الإيضاح، والتكملة ،والحجة في القراءات السبع[7].

**ابن جني(ت392هـ)**:هو أبو الفتح عثمان بن جني ينتسب إلى الأزد بالولاء، ولد بالموصل وتعلّم بها، اشتهر بالعفّة والصدق والجدّ، نبغ ابن جني في التصريف أكثر من أي علم آخر وذلك بسبب الحادثة

---

[3] -ينظر نشأة النحو،ص105 والمدارس النحوية الحديثي،ص220

[4] -ينظر نشأة النحو،ص105

[5] -ينظر المرجع نفسه،ص106

[6] -ينظر المرجع نفسه ص106،والمدارس النحوية الحديثي،ص221

[7] -ينظر نشأة النحو،ص120،والمدارس النحوية ضيف،ص255، 256

التي سخر فيها منه أبو علي الفارسي لمّا سأله عن مسألة في التصريف، فلزم ابن جني أبا علي الفارسي مدّة أربعين سنة يأخذ عنه[8]،له مصنّفات كثيرة بلغت نحو الخمسين، فكان يؤلف في كل علم كتاباً، منها سر صناعة الإعراب في الأصوات، والمنصف في التصريف، واللمع في النحو، والمحتسب في القراءات، والخصائص في أصول النحو واللغة وغيرها.

**من ظل كوفياً:**

**أبو موسى الحامض(ت305هـ)**:هو سليمان بن محمد أبو موسى، برع في اللغة والنحو وكان على مذهب الكوفيين في النحو، وكان سيء الخلق شرساً، ولهذا لقب بالحامض وكان بارعاً في اللغة أكثر من النحو[9]،وكان أبو موسى من ألمع أصحاب ثعلب، وقد لزم مجلس التدريس بعده، وكان شديد التعصب على مذهب البصريين،له من المصنفات كتاب مختصر في النحو، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الوحوش والنبات[10].

**ابن الأنباري(ت327هـ)**:هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، كان ديِّنا صدوقاً، وكان يميز عن غيره بشدة حفظه، فقد كان يحفظ ثلاثمائة بيت شاهد في القرآن، يُروى أنّه كان واسع الحال وله مال غير أنّه بخيل،أخذ العلم عن أبيه وعن ثعلب، صنّف في النحو كتاب الكافي، والواضح والموضح، ورسالة المشكل في تفسير المشكل في القرآن، وكتاب الأضداد[11].

**من خلط المذهبين:**

وهم النحويون الذين اعتمدوا أولاً على الكوفيين قبل أن يأخذوا عن البصريين، فحدث أن خلطوا بين المذهبين، وهم من قصدهم ابن النديم بقوله((خلطوا المذهبين))، كابن قتيبة، وابن كيسان، وابن

---

[8] –ينظر علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني،سليم عواريب، دار غرناطة الجزائر،ط1، 2010م ص61، 62، 63

[9] –ينظر طبقات اللغويين والنحويين،ص152

[10] –ينظر المدارس النحوية ،الحدجيثي، ص223

[11] –ينظر نشأة النحو،ص106،والدرس النحوي في بغداد،ص125

الخياط، وابن شقير، وأبي الحسن الأخفش[12]،وسنكتفي بذكر أشهرهم وهم ابن قتيبة وابن كيسان والأخفش.

**ابن قتيبة(ت276هـ)**:هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نسب إلى دينور ببلاد فارس لتوليه القضاء بها، ولد في الكوفة وسكن بغداد، أخذ عن الزيادي و السجستاني وابن راهويه و الرياشي وكان عالماً في اللغة والأدب والشعر والفقه، ألّف كتباً كثيرة، منها جامع النحو الكبير والصغير[13].

**ابن كيسان(ت299هـ)**:هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان تعلّم على يدي ثعلب والمبرد معاً، وقد أُعجِبَ بالمبرد وبعلمه، وراق له أن يغرف من فكره وعلمه؛ لأنّه كان شغوفاً بالثقافات الجديدة، فحدث أن ألمّ بأسلوب المذهبين في الدرس النحوي.

ويبدو أنّ ابن كيسان كان يتبع الطابع البصري، ويظهر ذلك في تأثّره بأساليب المتكلمين والاعتبارات العقلية، وهو ما يلاحظه المتصفّح لكتابه (**المختار في علل النحو**) الذي فلسف فيه و ،ومن الظنّ الراجح أن يكون هذا الكتاب مصدراً نهل منه الزجاجي في أثناء تأليفه لكتاب الإيضاح في علل النحو، ونهل منه أيضاً ابن جني في كتابه الخصائص.

وقد سلك بعض الدارسين مسلكاً آخر في الحكم على ابن كيسان، ومجمل ما قالوا إنّه قد خلط المذهبين، وهو قدوة نحاة بغداد في الدرس النحوي البغدادي، له كتب جليلة منها المهذب، وكتاب المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون، وكتاب الفاعل والمفعول[14].

**الأخفش الصغير(ت315هـ)**:هو أبو الحسن علي بن سليمان، أخذ عن ثعلب والمبرد واليزيدي، وهو ثالث الأخفشين (الأكبر والأوسط)، وقد انتقص منه العلماء كثيراً، فقد كان يتضجّر إذا سُئل في النحو، وعليه فقد أقرّ بعض الدارسين على أنّ الأخفش الصغير ليس له مذهب يُعتدُّ به، إذا كانت الروايات التي

---

[12] –ينظر الدرس النحوي في بغداد،ص137

[13] –ينظر نشأة النحو،ص106، 107،والمدارس النحوية الحديثي،ص223

[14] –ينظر نشاة النحو،ص107،والدرس النحوي في بغداد،ص138، 139، 140

قيلت عنه ليست من وهم الخيال،وللأخفش مصنّفات منها كتاب الأنواء، وكتاب التثنية والجمع، وتفسير رسالة سيبويه[15].

## المحاضرة الثانية عشرة:

### 3-3 خصائص المذهب النحوي البغدادي:

إنّ مذهب البغداديين السماعي مذهب وسط بين المذهبين، فلم يميزوا بين لغات العرب فلا ضون أيّة لغة، على أنّهم قد يأخذون بلغة مّا دون رفض الأخرى أو تضعيفها، فقد أخذوا عن بني عقيل وهم من الأعراب الذين عاشوا في محيط الحواضر[16].

وتذكر إحدى الدراسات أيضاً أنّ البغداديين كانوا أقرب للكوفيين من غيرهم؛ لأنّهم كانوا يأخذون حتّى بالبيت النادر ولو كان مخالفاً للأصول[17]،أمّا القراءات فقد كانت مصدراً مهماً لهم، فلم يرفضوا قراءة صحّ سندها، ولم يخطئوا قارئاً، ولم يطعنوا فيه كما فعل غيرهم، وهذا راجع – فيما يبدو- إلى اعتبارات منها:

أنّ أئمة نحاة الكوفة كانوا من القراء ومن الذين عنوا بالقرآن الكريم قراءةً وتفسيراً،وهم مِن الذين نشَّطُوا الحركة النحوية في بغداد كالكسائي والفراء وعاصم وحمزة، الذين ترجع قراءاتهم إلى أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش.

وأمّا القياس عندهم فقد كان موقفهم منه موقفاً يتوسط بين البصريين والكوفيين أيضاً،«فقد يقبلون بالمثال الواحد الشاذ عند البصريين»، ولكن بعد مناقشته مناقشة عقلية، وبعد النظر فيه وتأمّله ،وقد

---

[15] –ينظر المدارس النحوية الحديثي،ص224، والدرس النحوي في بغداد،ص150،153

[16] –ينظر المدرسة البغدادية،ص131

[17] –ينظر الدرس النحوي في بغداد،ص62

يردونه[18]،وكانوا يقبلون القياس على النادر الشاذ أحياناً،أو القياس على غير مثال أو من غير اعتماد على سماع[19].

وتجدر الإشارة إلى أنّ البغداديين كانوا يخضعون القياس للنقل، فقد لجأوا إلى تفسير الأصول لتكون وفق الأمثلة المسموعة، وهذا ينمّ عن تقديسهم للسماع والنقل على العقل، وهم في ذلك أقرب إلى الكوفيين[20].

ويمكن أن نُذَيّل تلك الخصائص والسمات بميزة ميزت هذا المذهب وهي الانتخاب من المذهبين، فكان البغدادي يروي عن المذهبين، ولم يفرّق بين نحوي بصري أو نحوي كوفي، وقد اشتهر في ذلك نحاة من أمثال الزجاج، و نفطويه، وابن كيسان، وابن شقير، والأخفش علي بن سليمان، والزجاجي، وأبي علي الفارسي، وابن جني[21].

---

[18]- ينظر المدرسة البغدادية،ص133

[19] -ينظر المرجع نفسه،134، 136

[20] -ينظر الدرس النحوي في بغداد،ص75

[21] -ينظر المدرسة البغدادية،ص146، 147